

تفسير الخطاب السردى في روايات رشيد ميموني دراسة الرموز والمعاني

Interpretation of Narrative Discourse in the Novels of Rashid

Mimouni: A Study of Symbols and Meanings

شرف شناف

فريدة بوعاغة*

مخبر الشعرية

مخبر الشعرية

جامعة باتنة 1

جامعة باتنة 1

charaf.chenef@univ-batna.dzfarida.boughagha@univ-batna.dz

تاريخ القبول: 2025-12-03

تاريخ الإرسال: 2025-11-12

ملخص:

تتناول هذه المقالة النقد السردى في روايات رشيد ميموني مع التركيز على استخدامه الدقيق للرموز والمعاني، فباستخدام التحليل المعلوماتى نكشف كيف يعكس سرد ميموني للقصاص الجوانب المتغيرة المعقدة للمجتمع والتاريخ والهوية الجزائرية، تسلط الدراسة الضوء على الأساسيات الرمزية ضمن أعماله، بالإضافة إلى المراجع الثقافية والتلميحات التاريخية. من خلال الكشف عن هذه الطبقات يكشف المقال كيف استطاع رشيد ميموني من خلال كتاباته أن ينقل لنا الواقع الجزائري بكل تعقيداته الاجتماعية والسياسية، إذ تمكننا هذه الدراسة من الكشف عن رؤية ميموني النقدية للمجتمع الجزائري وتحدياته في مرحلة ما بعد الاستقلال، معتمدين على المنهج التحليلي لفك شفرات النص الروائي واستنباط الدلالات العميقة التي تختفي وراء الرموز الظاهرة.

الكلمات المفتاحية: تفسير؛ خطاب سردى؛ رموز ومعاني؛ رشيد ميموني.

Abstract:

This article examines the narrative critique in Rashid Mimouni's novels, focusing on his nuanced use of symbols and meanings. Using informative analysis, it discovers how Mimouni's storytelling reflects the intricate changing aspects of Algerian society, history, and identity. The study highlights symbolic essentials within his works, as well as cultural references, historical allusions, and the blend of specific and collective experiences. By uncovering these layers, the article reveals how Mimouni's narratives contribute to a broader considerate of his literary impact. Ultimately, it underscores narrative discourse as a powerful vehicle for expressing complex themes,

*- المؤلف المراسل.

offering insights into the interplay between personal stories and national identity in Mimouni's work.

Keywords: Interpretation ; Narrative Discourse; Symbols and Meanings
Rashid Mimouni.

مقدمة:

يعد الأدب مرآة تعكس هموم المجتمع وتطلعاته، وتكشف عن أعماق النفس الإنسانية في صراعها مع الذات والآخر والواقع، وفي هذا السياق، تبرز الرواية بوصفها جنساً أدبياً حافلاً بالإمكانات التعبيرية والجمالية، تتيح للكاتب نسج عوالم سردية تحمل في طياتها رؤى وأفكاراً تتطلب فك شفراتها واستنباط مدلولاتها. ومن بين الأصوات الروائية المتميزة في الأدب الجزائري، يطل علينا الأديب رشيد ميموني، الذي شكلت أعماله علامة فارقة في مسيرة السرد الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، بفضل ما تمتاز به من عمق في الرؤية وتعقيد في البناء وفنية في الصياغة.

لم يكتف ميموني في رواياته بسرد الأحداث والوقائع السطحية، بل انغمس في تشريح الواقع الجزائري بمختلف شعباته السياسية والاجتماعية والنفسية، خاصة في فترة ما بعد الاستقلال التي اتسمت بالتحولات الجذرية والتناقضات الحادة. وقد اتخذ من الخطاب السردى أداة فنية لبناء عالمه الروائى، مشكلاً نسيجاً لغوياً معقداً يحمل بين طياته شبكة من الرموز والإيحاءات التي تتطلب من القارئ تأملاً عميقاً وتفكيراً دقيقاً للوصول إلى طبقات المعنى الخفية.

1- تفسير الخطاب السردى في روايات رشيد ميموني:

يعد تفسير الخطاب السردى في روايات رشيد ميموني، من خلال دراسة الرموز والمعاني، ليس ترفاً فكرياً، بل هو ضرورة نقدية لكشف الغطاء عن الرؤية الفنية والموقف الفكرى الذي ينطوي عليه مشروعه الإبداعي. فهذه الدراسة تهدف إلى تفكيك بنية الخطاب السردى لديه، وتتبع آليات اشتغال الرمز فيه، وكيفية تحوله إلى وسيلة لتشخيص الأزمات الفردية والجماعية، والتعبير عن الهواجس الإنسانية في ظل واقع متشظ ومأزوم.

1.1- خلفية رشيد ميموني

ولد رشيد ميموني في 20 نوفمبر 1945 ، في بودواو، الجزائر، لعائلة ريفية. بدأ دراسته في المدارس الابتدائية المحلية وأنهى دراسته الثانوية في الرويبة. بعد تخرجه من جامعة الجزائر في عام 1968 ، تلقى إعانة للدراسة في مدرسة الدراسات التجارية العليا في مونتريال، كندا . عند زيارته المتكررة للجزائر ، حصل على مكان أكاديمي في المدرسة العليا للتجارة¹. تضمنت مسيرته الأدبية أعمالاً مشهورة مثل " le fleuve détourné 1982 و " l honneur de la tribu 1989 و " malédiction 1993 ، مما جعله شخصية بارزة بين المؤلفين الفرانكوفونيين الجزائريين .

صورت كتاباته الحياة الجزائرية بشكل أصيل وقدمت انتقادات حادة للظروف الاجتماعية والسياسية، في عام 1993 ، وسط تهديدات متزايدة من المتطرفين الإسلاميين خلال " العشرية السوداء " في الجزائر، فر إلى فرنسا، حيث استمر في الكتابة حتى وفاته المؤسفة بسبب التهاب الكبد في 12 فبراير 1995. يتألق إرث ميموني من خلال رواياته القوية التي تحقق في موضوعات الهوية وإثبات الذات ورفض الواقع.

2.1- لمحة عامة عن الخطاب السردي في روايات ميموني:

إن التحليل الدقيق للواقع هو سمة بارزة في أعمال رشيد ميموني. فهو لا يكتفي بنقل الأحداث أو وصف الشخصيات، بل يذهب أبعد من ذلك ليقدم تفسيراً وتحليلاً لما يجري. إن روايات رشيد ميموني تعد مرجعاً مهماً لفهم التحولات التي عاشتها الجزائر في فترة ما بعد الاستعمار، ليس فقط على المستوى السياسي والاجتماعي، بل أيضاً على المستوى الثقافي والنفسي. ومن خلال شخصياته المتعددة وأحداثه المعقدة، استطاع ميموني أن يقدم صورة شاملة للواقع الجزائري بكل ما يحمله من تناقضات وصراعات. وفي الوقت نفسه، كانت رواياته تعبيراً عن تجربة إنسانية مشتركة، تعكس الصراعات التي يعيشها الإنسان وهو يحاول التكيف مع التحولات الكبرى التي يمر بها مجتمعه، وهذا لا ينفي عن الرواية الجزء الخاص بالتخييل لأنه ليس من الضروري عند تمثيلها السردى للعالم وللواقع أن يكون هناك تطابق بين تلك الوقائع والحقيقة، لكن ما هو مهم في السرد هو " القدرة على بناء عالم ممكن يقوم بهذيب النسخ المتحققة ليحولها بعد التنقيح والتهذيب، إلى نموذج

¹ - رشيد ميموني، (1989م)، طومبيزا، لافوميك، الجزائر.

يستوطن الوجدان، فبناء عالم تخييلي استنادا إلى حقائق موضوعية معناه الرقي بالعرضي والزائل إلى مصاف القيم الثابتة التي يتكفل الوجدان بتخليصها من سمات الخاص والمفرد¹

يعتمد الخطاب السردى في روايات رشيد ميموني على بنية سردية معقدة ومتداخلة، تجمع بين تقنيات حديثة مثل تعدد الأصوات السردية، واستخدام الساردين العالمين والمشاركين. تتناول هذه التقنيات مواضيع متنوعة مثل العنف والإرهاب والتجربة الروائية والتحويلات الاجتماعية و السياسية في المجتمع الجزائري، وتستخدم البنية السردية لاستكشاف العلاقة بين الشخصيات والأماكن والأزمنة.

يعد رشيد ميموني من أبرز الأدباء الجزائريين الذين تأثروا بمزيج من التأثيرات الأدبية والفكرية المحلية والعالمية، مما أسهم في إبداع أسلوب أدبي متميز يدمج بين الأصالة الثقافية والإبداع الحداثي.

غالبًا ما يستكشف ميموني المشهد التاريخي للجزائر، ويشارك في عناصر من ماضيه الاستعماري في أثناء معالجة القضايا المعاصرة. من خلال اللغة الرمزية والزخارف ذات الصلة اجتماعيًا، تتحدى قصصه المعتقدات التقليدية وتشجع القراء على التفاعل مع السياق الاجتماعي والسياسي للجزائر. كما يوضح استخدامه للغة العربية والفرنسية التنوع اللغوي المتأصل في الأدب الجزائري، مما يعكس التاريخ الاستعماري للأمة مع الاحتفال بثرائها الثقافي.

تنتشر موضوعات أزمت التباين والهوية في عمله، حيث تتصارع الشخصيات مع أدوارها في بيئة ثقافية سريعة التغير، مما يسلط الضوء على مضاعفات الانتماء في مجتمع يتميز بالصدمة والتغيير التاريخيين.

2- الرمزية في الأدب:

يعد الرمز من الظواهر الأدبية التي تفنن في استخدامها الأدباء على مدى العصور، حيث يعد كوسيلة إيع الأفكار والعواطف المعقدة، فتتجاوز بذلك معانيها الحرفية إلى ما هو أعمق، فتعزز الثراء الموضوعي للسرد.

¹ سعيد بنكراد، 2008م، السرد الروائي وتجربة المعنى، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ص. 21.

² - السعيد بوسقطة، 2008م، الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، دط، منشورات يونه، عناية،

الجزائر، ص: 31.

1.2- الرمزية في الأدب الجزائري:

في سياق الأدب الجزائري، تزداد الرمزية عمقاً بسبب الخلفية التاريخية للاستعمار وأزمات الهوية الناتجة عنه، " حيث كان الأدباء يستخدمونها تحت إلحاح الظروف النفسية والاجتماعية، إذ كان اللجوء إلى الرمز من دوافعه الاضطهاد والكتب، فإن الأديب الجزائري كان أشد الناس حاجة إلى اللجوء إلى هذا الأسلوب ولا سيما في الفترة الاستعمارية... غير أن هذا الاستخدام كان بدافع موضوعي ما لبث هذا الأسلوب وهو يتفياً ظلال الحرية بدافع فني"²

في روايات رشيد ميموني، تلعب الرموز دوراً حاسماً في عكس الفروق الثقافية والاجتماعية الدقيقة في الحياة الجزائرية، لا سيما فيما يتعلق بتكوين الهوية وإثبات الذات، فلغة ميموني الرمزية لا تكشف عن مسارات الشخصيات الفردية فحسب، بل تكشف أيضاً عن موضوعات مجتمعية مهمة. وبالتالي، تعمل الرموز كمسارات لاستكشاف مفاهيم مثل الاغتراب والانتماء داخل مشهد ثقافي متطور، مما يمكن القراء من التفاعل مع النص على مستوى أكثر عمقا، والكشف عن الطبقات الغنية التي تضيء التجارب الشخصية والجماعية المتضمنة في المجتمع الجزائري، وذلك من خلال فك تشفير هذه الرموز.

2.2 الرمزية في روايات رشيد ميموني:

تسمح الرمزية للقارئ من استكشاف أبعاد مختلفة في النص، حيث يُمكنه تفسير الأحداث والشخصيات من زوايا متعددة. تثير الرموز أسئلة حول القضايا المطروحة، مما يُثري التجربة الأدبية ويجعل النصوص مُحفزة للتأمل والتفكير العميق.

✓ رمزية المكان في روايات رشيد ميموني:

يشكل "المكان" كبنية فضائية آلية مهمة في تشكيل العمل الروائي، وفي تحديد البنية الدلالية للنص؛ إذ يتم رسمه في إطار خطابي يخضع لأنظمة سردية، حيث تجمعه علاقة حميمة مع باقي مكونات النص السردية، كما يتعسر على الدارس تحديد الوظيفة التي يؤديها

² -جعفر يايوش، دت، الأدب الجزائري الجديد -التجربة والمآل-، دط، مركز البحث والأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ص:131.

"المكان" بمعزل عن الإطار الزمني وحركة الشخصيات والأحداث، فهو عنصر يصعب تصور العمل الروائي خالياً منه، لصعوبة تصور وجود أحداث تدور في اللامكان أو شخصيات تعيش خارج حدود المكان، ولهذا يرى البعض أن العمل الروائي "حين يفتقد المكانية فهو يفتقد خصوصيته وبالتالي أصالته"¹، ومنه فإن تقنيات وصف المكان في روايات رشيد ميموني تتجلى في تعزيز تجربة القارئ وخلق أبعاد عميقة للسرد.

في رواية "شرف القبيلة"، يستخدم ميموني أسلوب الوصف التفصيلي لخلق أجواء مؤثرة تجسد البيئة الجزائرية في فترة ما بعد الاستعمار، حيث يعتمد بشكل كبير على وصف الطبيعة والأماكن لربطها بالحالة النفسية للشخصيات والصراعات التي يعيشونها.. الزقاق الذي يقسم في دلال دشرتنا (...ساحة التينات الثلاث التي كان يستظل تحتها شيوخ الجماعة"²، إذ تتمركز كل أنشطة الحياة في القرية حول "ساحة التينات الثلاث" لكونه المكان الإستراتيجي للمراقبة ونقل الأخبار، "إن العجزة من رجالنا الفارغين من كل شغل يظلون خلال يومهم يزحفون من ظل إلى آخر محاولين الاحتماء من أشعة الشمس الأشد قسوة من لسعات الزناير (...نساؤنا المشتهرعنهن أنهن نشيطات، لا يتجرأن على المغادرة إلى أحواش بيوتهن التي أصبحت خانقة أكثر من السطوح، وتستنفذ منهن ملهن الذي يعبرن عنه بحركات ذابلة تثير الخيال (...الأطفال أنفسهم...يفضلون الالتجاء إلى ظل أشجار اليوكالبتوس العظيمة"³...هنا رشيد ميموني بصدد وصف الطبيعة القاسية التي تعكس البيئة المحيطة بالقرية، هذه القرية النائية المعزولة التي تقع في منطقة جبلية وعرة مما يعزز الشعور بالعزلة والانفصال عن العالم الخارجي والحضارة الحديثة، هذه العزلة هي شرط أساسي لاستمرار القيم التقليدية المتصلبة. فجميع سكان القرية يتعارفون فيما بينهم، ويتبادلون التحيات صباح مساء، وبذلك فهم على علم بكل أحداث قريتهم، بل يعرف بعضهم عن بعض أدق التفاصيل في حياة الآخر؛ فكل فرد في القرية هو رقيب على الآخر، لا وجود للخصوصية، فحياة الجميع مكشوفة وخاضعة للحكم الجماعي، إنهم يعيشون إذن ميثاق شرف القبيلة. فرغم قساوة ظروف المعيشة إلا أن سكان القرية متمسكون بأصولهم،

¹ - شاكرا النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، ص. 25 :

² - رشيد ميموني، (1990م)، شرف القبيلة، ترجمة: الحبيب السائح، منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية،

الجزائر، ص. 11:

³ - المصدر نفسه، ص. 11:

وهذا ما تؤكده "الزيتونة" اسم القرية التي لطالما احتضنتهم في السراء والضراء، نسبة إلى شجرة الزيتون التي ترمز إلى الجذور والأصالة والخصوبة، وجودها يشير إلى ارتباط المجتمع بأرضه وتاريخه، فهي تجسيد للمجتمع القبلي التقليدي بكل قيمه، عاداته وتقاليده، وثوابته الصارمة، إنها عالم منغلق على نفسه، من جهة أخرى عندما تكون القرية مكان انفتاح على الطبيعة فهي تطلق العنان لدلالات متعددة كالشعور بالحرية والانطلاق، وتذكر بأرض الوطن الذي يلفه الأمن والطمأنينة التي يحلم أي إنسان العيش فيه. فالمكان في "شرف القبيلة" فضاء تتعالق فيه الدلالات من حيث كونه صورة تندمج فيه قيم رمزية، استقاها المؤلف من بيئة أجاد رسم معالمها، فهي عبارة عن مركز تلتقي فيه روافد متعددة، منها ما هو جغرافي، ومنها ما هو تاريخي، ومنها ما هو أدبي، ولكنها تتكامل جميعا لبناء عالم سكان قرية "الزيتونة" المثالي، من جهة أخرى، يجسد المكان في الرواية الأنموذج فضاء لرؤى المؤلف وفلسفته، إذ عمل على سبر أغوار الواقع الاجتماعي والسياسي والديني، وذلك بالكشف عن الأدوار التي تؤديها الشخصيات التي تحرك الأحداث وفق مسار دلالي معين، يتعين عليه تحديد وظائف المكان وأبعاده الدلالية.

في رواية "النهر المحول"، يستخدم ميموني الانطباعية لنقل مشاعر البطل اتجاه المكان. يشعر البطل بالضيق والغربة في بيئته، وينقل ذلك من خلال وصف عام للأماكن التي تبدو كأنها لا تنتمي إليه، "فأنا لست مثل الآخرين، وجودي في هذا المكان نتيجة سوء فهم مؤسف"¹ مما يعكس حالة الاضطراب الداخلي لديه. هذا الوصف لا يركز على تفاصيل المكان بقدر ما يركز على الحالة النفسية التي تثيرها فيه، "في طريقي إلى القرية، سرت على جسر يلمع جديدا، عريضا ومتينا...تساءلت لماذا مات النهر...ألم تنزل الأمطار على البلد؟ أترفض قمم الجبال ثلوج الشتاء؟"²، إنه يبحث في جذور الماضي المفقود، فالنهر هو العنوان والقلب النابض للرواية، ورمزيته غنية ومتعددة المستويات، فكل الأمكنة في روايات رشيد ميموني تتسم بالسلبية، وأنها غير صالحة للعيش من المؤكد أن إقامتنا المادية تظل شديدة الافتقار، أكواخنا لا يوجد فيها أثاث سوى مجرد أسرة تخييم من قماش وخزائن حديدية مضغضة...من أجل قضاء الحاجة لا بد من الذهاب إلى الحقول، شخصا هذا لا يضايقي

¹ - رشيد ميموني، (2003م)، النهر المحول، ترجمة: عبد الحميد بورايو، دار الحكمة، ص:1.

² - المصدر نفسه، ص:16.

كثيرا، فعلت هذا طيلة حياتي¹.

يعكس ميموني من خلال مدوناته البحث المستمر للشخصيات عن ذاتها، حيث تقوم برحلات فكرية أو فعلية لاكتشاف هويتها الحقيقية وسط تناقضات المجتمع. هذا البحث يشمل محاولة فهم الماضي الشخصي والعائلي، والتصالح مع الجذور الثقافية المتعددة، إذ تستخدم الرموز في أعمال رشيد ميموني بمهارة لإيصال رسائل عميقة والتعبير عن قضايا اجتماعية وسياسية، نذكر من بينها الرموز المستخدمة التالية:

- **القرية:** هذه القرية الأكثر عزلة في العالم²، تقع في منطقة جبلية وعرة، مما يعزز شعور العزلة والانفصال عن العالم الخارجي وعن التطورات السياسية والاجتماعية، ما يعكس عزلة النظام وانغلاقه على نفسه الذي يفرض قوانينه ويقمع الأفراد، "لقد تفوقوا على أنفسهم وأقاموا في المؤقت وعاشوا في الانتظار"³، فالقرية في روايات ميموني هي نموذج مصغر للدولة الجزائرية، وكل ما يحدث في القرية من فساد وتستر وتلاعب بالحقائق هو مرآة لما يحدث على مستوى الوطن الأكبر.

- **المدينة :** يتكثف بروز المدينة في "شرف القبيلة"، لتكون السلوكيات البشرية الممارسة فيه معادلا موضوعيا لما تحمله المدينة من معاني "الانحراف"، وشرعية "السلطة" و"الظلم"، فهي بذلك تصبح الغطاء الآمن لمختلف الأفعال البشرية المنحرفة، وهي كذلك مكان ملوث بشتى ألوان الاضطهاد الذي عرفه الشعب أثناء الاستعمار، وهذا ما عبر عنه المحامي الصغير المنفي:

"رطوبة هذه المدينة لا تساوي لدي شيئا حسنا، إنما تثير عندي كل تلك الأوجاع المتولدة خلال إقامتي في الزنانات ذات الجدران الراشحة...أعتقد أنني سأعود لأعيش في قريتك"⁴، إذ ترمز المدينة إلى المنفى القسري وفقدان الهوية، عندما يهاجر أبناء القرية إلى المدينة هربا من الجفاف، يواجهون اغترابا آخر، المدينة لا تحتضنهم، بل تذيبهم في بوتقة مجهولة، مما يعمق أزمة الهوية التي بدأت بتحويل

¹ - رشيد ميموني، شرف القبيلة، ص:2.

² - المصدر نفسه، ص:85.

³ - المصدر نفسه، ص:51.

⁴ - رشيد ميموني، ص:177.

النهر، "لا يتجرأون حتى على الاقتراب منا، يكتفون باتهامنا بمختلف الأفات التي أصابت المدينة، يقولون بأن جميع الشرور المرتكبة في المدينة هي من عمل خبثاء من عندنا."¹

فالمدينة الكبرى تُصوّر كوحش مفترس "الضباع غزت المدينة"² يلتهم آمال الناس، مما يعبر عن قسوة الحياة في المجتمع الحضري وصراع الشخصيات مع البيروقراطية والفساد. تمثل المدينة في هذه الحالة استعارة للضغوط الاجتماعية وتحديات البقاء

- البحر: في روايته "النهر المحول" يُستخدم البحر كرمز للرغبة في الهروب من الواقع المرير الذي يعيشه الشعب الجزائري تحت تأثير الظلم الاجتماعي والسياسي "جئت من الصحراء، رغبت في رؤية البحر مرة واحدة، فريدة، أتجرع بملء رثي ربح عرض البحر"³ "فالبحر في هذا السياق قد يرمز إلى الأمل في الهروب من القمع والفساد. الشخصيات تنظر إلى البحر كمنفذ" تأتي إلى هنا في عدد كبير لنستمع بالبحر، لسبر الأفق دون انقطاع"⁴، لكن في الوقت نفسه، قد يكون البحر رمزاً للغموض والخوف من المجهول" عن طريق هذا البحر لا يأتي أحد، إنه بحر سجين لا بد من الذهاب أبعد، نحو المحيط للقاء نسيم البحر"⁵، مما يعكس الحيرة الداخلية لدى الشخصيات بين الرغبة في الهروب والخوف من فقدان الهوية والانتماء.

- الوادي (الجدور الضائعة): يتكرر ذكر الوادي السعيد في روايات رشيد ميموني، إذ يرمز الوادي الذي جف بعد تحويل النهر إلى الماضي السعيد والجنة المفقودة، هو مكان الذكريات الشخصية والجماعية، مكان الطفولة والبراءة "كنا نلعب في ذلك الوادي، وكان الماء يروي أحلامنا، الآن لم يعد فيه سوى الحجارة والغبار،

¹ - رشيد ميموني، النهر المحول، ص:43.

² - المصدر نفسه، ص:20.

³ - المصدر نفسه، ص:19.

⁴ - المصدر نفسه، ص:78.

⁵ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

حتى الذكريات صارت عاجزة عن العيش في هذا الجفاف¹، جفافه يعني انقطاع الصلة بتلك الذكريات وتحولها.

- النهر: يظهر النهر في رواية "النهر/المحول" كرمز للتغيير المستمر وعدم الاستقرار. يُمثل النهر طبيعة الحياة المتغيرة،... "التقيت برجل حدثني عن نهر محول"²... فالروائي هنا لا يقصد النهر الحقيقي بل يقصد تحول الناس وانسلاخهم عن الأصول وكيف يمكن للظروف أن تجرف الشخصيات في اتجاهات مختلفة، مما يعكس فوضى العالم وتأثيره على مصائر الأفراد.

من خلال هذه الرموز، يعمق ميموني من معاني نصوصه ويجعلها ذات طابع عالمي، "فلا يمكن فهم بنيات الفضاء الروائي للكاتب الروائي رشيد ميموني إلا في سياق نظام إيديولوجي واضح المعالم، لأن كتاباته الأدبية عموماً تتغذى على الإيديولوجيات"³... حيث يُتاح للقارئ فهم النصوص على مستويات متعددة وتأمل الرسائل المرتبطة بها. هذه الرموز تسهم في خلق أجواء ثقافية واجتماعية تعكس الواقع الجزائري وفي نفس الوقت تتيح للقارئ فرصة التفكير في قضايا إنسانية شاملة.

✓ رمزية الشخصيات وتجلياتها:

تتشابك شخصيات رشيد ميموني مع قضايا مجتمعية كبرى، يعكس أبطاله بانتظام المعارك التي تواجهها البلاد، ويجسدون تجاربها ومحنها. على سبيل المثال، في "النهر المحول"، تدرس الشخصية التي تعاني من فقدان الذاكرة المصيبة الفردية ورحلة الشخصية في البحث عن الهوية وإثبات الذات، يصور ميموني الأفراد التقليديين، مثل صانع الأحذية المحاصرين في الصراع، مؤكداً كيف تلتقي الخيارات الفردية مع تيارات اجتماعية وسياسية أكبر. تستكشف هذه الشخصيات الأوزان المجتمعية والأفعال المخزية، يتعمق المؤلف في تعقيدات التمثيل المجتمعي، ويلقي الضوء على كيفية تأثير ديناميكيات التحكم والخط من

¹ - رشيد ميموني، شرف القبيلة، ص: 47.

² - رشيد ميموني، النهر المحول، ص: 20.

³ - الحاج لونيس بلخياطي، (سبتمبر 2018)، معمارية البناء السردية في رواية النهر المحول لرشيد ميموني، مجلة المعيار - في الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية - ، إصدارات المركز الجامعي تيسمسيلت، المجلد التاسع، العدد 3، ص: 3.

الوجود. من خلال رواياته المقنعة، يكشف ميموني عن رغبات الناس المتضاربة في كثير من الأحيان ضد المواد القاسية التي فرضها التاريخ الاستعماري وحكم ما بعد الاستعمار.

- الصراعات الداخلية:

شخصيات ميموني غالبًا ما تعاني من صراعات داخلية بين هويتها الجزائرية والتأثيرات الأجنبية، هذا التوتر يعكس صعوبة التوفيق بين الثقافتين ويُبرز حالة النشئت التي تعيشها الشخصيات بين ولاءها لتراثها وانفتاحها على العالم الخارجي. فعمر المبروك البطل العائد من فرنسا في رواية "شرف القبيلة" يمثل الهوية الهجينة وصدمة العودة وهو يحمل أفكارا وسلوكيات مختلفة جعلته غريبًا عن محيطه، هو لم يعد ذلك الفلاح البسيط الذي يعرفه الجميع، بل أصبح كائنًا هجينًا، لا ينتمي تمامًا إلى عالم المدينة الحديث ولا يستطيع العودة إلى عالم القبيلة. خطابه السردي الداخلي مليء بالحيرة والصراع بين ما تعلمه هناك في الغرب وما تفرضه عليه القبيلة من تقاليد، فهو جسر بين عالمين لكنه لا ينتمي لأي منهما بشكل كامل.

- الاغتراب والانعزال:

الشعور بالاغتراب والانعزال هو تجربة متكررة في أعمال ميموني، حيث تشعر الشخصيات بالانفصال عن مجتمعهما وتقاليدهما، "منذ وصولي إلى البلد، لاحظت أشياء غريبة"¹، يُظهر كيف يمكن أن تؤدي التغيرات الاجتماعية والسياسية إلى إحساس عميق بالوحدة، ويصور الشخصيات التي تبحث عن مكان تنتمي إليه وسط هذه التحولات.

✓ الرموز اللغوية والتعالقات النصية:

يلعب التناس في أعمال رشيد ميموني دورًا حيويًا في إثراء السرد وتعميق المعاني، حيث يستدعي الأساطير والحكايات الشعبية، ويستخدم إشارات أدبية وحوارات مع نصوص أخرى. هذه التقنيات تعزز من الهوية الثقافية وتوسع من دلالات النصوص. وهذه بعض الأمثلة على التناس في أعماله:

¹ -رشيد ميموني، النهر المحول، ص: 20.

• الرواية الشفوية:

يظهر الراوي الشعبي في افتتاحية رواية "شرف القبيلة" قائلا: "ولكني لا أستطيع أن أبدأ هذه القصة إلا بذكر الله العلي القدير خالق كل خلق. المحدث لكل حدث ومالك كل قضاء وقدر. في كتاب العالمين أحصى كل شيء... أفسح لألتك أن تتشرب كلماتي"¹... ما يرمز إلى الانتقال من الشفوية إلى الكتابة كتحويل ثقافي يؤثر على هوية المجتمع.

يستلهم ميموني من التراث الشعبي الجزائري، حيث يدمج الحكايات والأساطير المحلية في سرد رواياته "ولما كان الأمر ليس حكاية فإنه ليس ضروريا انتظار نزول الليل للبدء في الحكى خشية أن يولد أبنائنا صلعا"²، مما يضيف طابعاً ثقافياً أصيلاً على نصوصه. على سبيل المثال أيضاً، قد يُشير إلى أسطورة عن بطولات أبطال محليين أو يستعيد قصصاً شعبية تتناول مواضيع الصبر والشجاعة، مما يعزز شعور الانتماء إلى التراث الجزائري.

• اللغة الفرنسية والهوية الجزائرية:

على الرغم من كتابة الروايات باللغة الفرنسية، إلا أنها تحتوي على مكونات أدبية عربية مثل: ألف ليلة وليلة، ونصوص قرآنية مما يرمز إلى الامتداد الثقافي للهوية الجزائرية. يعد الاستناد على الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية في التحليل ظاهرة من الظواهر في النص، يثري النص بإيحاءات جمالية، ودلالات معنوية، وفنية، لذا فإن رشيد ميموني ليس بدعا بين هؤلاء، إذ راح يشتغل على النص الديني توظيفاً، وهذا من خلال القرآن الكريم، ومن أمثلة الاقتباس من القرآن ما جاء في قول السارد: "خلال أسابيع قليلة تغير مشهد حياتنا العادي : زوابع سطحت، مهاو ملئت، صخور ذريت، غابات حصدت، طرقات سُويت"³. يتقاطع هذا المشاهد مع آيات من سورة الغاشية في قوله تعالى: "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت(17) وإلى السماء كيف رفعت(18) وإلى الجبال كيف نصبت(19) وإلى الأرض كيف سطحت(20)"⁴.

¹ - رشيد ميموني، شرف القبيلة، ص:9.

² - المصدر نفسه، ص:9.

³ - المصدر نفسه، ص:184.

⁴ - سورة الغاشية، الآيات 17، 18، 19، 20.

والظاهر أن رشيد ميموني في تعامله مع النص القرآني، يحافظ على المعنى الأصلي، وأنه كان على صلة وثقى بالقرآن الكريم، إذ يعزز به المعاني التي يرغب في طرحها.

أما طريقة استحضاره للقرآن الكريم في نصوصه الروائية، فإنها اتخذت شكلين اثنين هما:

- استخدام ألفاظ من المعجم القرآني، سواء أكانت هذه الألفاظ متفرقة من آية أم سورة، تثبت طريقة أدائها انتمائها لتلك الآية أو السورة، مثل: يوم البعث، الشياطين، الظالين.... الخ

- اعتماد طريقة الأجزاء من الآيات القرآنية، دون الآية كاملة كما ورد في الأمثلة السابقة.

فالقارئ لا يجد عننا كبيرا في الوقوف على التداخل الحاصل بين النص الروائي الميموني والنص القرآني، إذ إن التقاطع بين النصين الغائب والحاضر يصل على حد التطابق اللغوي والدلالي.

من خلال هذا الاستدعاء، يرسخ ميموني الهوية الثقافية والدينية في رواياته، حيث يجعل القارئ يتفاعل مع عناصر من الثقافة المحلية، مما يجعله يشعر بأن القصة تنبثق من المجتمع الجزائري ذاته. هذه النصوص تعكس القيم والعادات المحلية التي ترعرع عليها المجتمع الجزائري (تحفيظ القرآن في المساجد والزوايا)، وتُرسخ الروابط مع الجذور الثقافية.

✓ التلميحات التاريخية في أعمال ميموني:

- تصوير ماضي الجزائر الاستعماري:

تبحث كتب رشيد ميموني بشكل لافت للنظر في التاريخ الاستعماري للجزائر، خاصة في "النهر المحول"، حيث يربط الحسابات الفردية مع إعدادات تاريخية أوسع، إذ يتدرج في تقديم الشخصيات وتطور وعيها عبر سنين عديدة في النهر المحول من زمن الثورة إلى زمن الاستقلال، وتظهر قدرة الكاتب في تقديم شخصية "الشهيد الحي الميت"، هذه الشخصية المناضلة التي تسعى إلى إعادة بعث وجودها بعد أن عدها الجميع في عداد الأموات "الجميع ظنك ميت¹"، "اسمك مسجل في النصب التذكاري الخاص بأموات القرية¹"، هكذا أجابه

¹ - رشيد ميموني، النهر المحول، ص: 115.

والده عندما سأله عن حال البلد، ما يعكس انتقاله من التشبث إلى الإثارة في الجزائر المتغيرة، الارتباك الذي واجهه العديد في التعامل مع واقع ما بعد الاستعمار.

في مواجهة التمرد الجزائري، لا تكشف الرواية عن الندوب الجسدية التي سببتها الوحشية الاستعمارية فقط ولكن أيضاً عن التأثير العقلي على الناس والمجتمعات. يبدأ السعيد الإسكافي الشهيد الحي حديثه بعودته إلى القرية بعد أن استرجع ذاكرته جراء قصف الاستعمار الفرنسي للمعسكر ودخوله للمستشفى من الحدود الشرقية للجزائر " كنت مسرورا بعودتي إلى البلد، حبور قوي جعل خطاي تتسارع... لما اقتربت ، وقف رجلان مسلحان ببندقيتي صيد... لا يدخل الدوار غريب ... هل بإمكانني أن أرى أبي؟... شاخ كثيراً، وكأنه عاش بعد سنوات غيابي زمن عمره وعمري...أرى أن شيئاً لم يتغير ، قلت... أنت مخطئ كثير من الأشياء تغيرت...أريد أن أرى زوجتي...فارقتنا زوجتك ذات يوم، ذهبت وأخذت معها ولذلك...أين ذهبت؟... لا أدري، لا أريد أن أعرف لقد رفضت أن يتكفل بها الأقارب... ثم أضاف أنه علي أن أذهب إلى دار البلدية لأسوي وضعيتي، لأن الكل اعتقدوا بأني مت"¹.

بينما يتطلع البطل إلى إعادة التواصل مع عائلته ، فإنه يعكس بلداً يعمل على استعادة شخصيته بعد الاضطهاد المستمر .يوضح ميموني ببراعة كيف أثر الاستعمار بعمق على النسيج الاجتماعي للجزائر، ويصور معاناة الضباط العائدين والأسر التي مزقتها الصراع.

بالإضافة إلى ذلك، يقيم ميموني المشهد الاجتماعي والسياسي الذي اتخذ بعد الحكم الذاتي، ويكشف عن كيفية بقاء بقايا التأثير الاستعماري في الإدارة المندھورة والقضايا المجتمعية ويظهر هذا جليا في شخصية باتول في روايته " طوميزا "الذي يستمد قوته من ذاك الآخر " يهينهم يعنفهم يلطمهم يدرجهم يوبخهم دون سبب، بل لمجرد أنهم وجدوا أنفسهم أمامه وجها لوجه، فلا بد أن يفرض عليهم سلطته كمحافظ شرطة في هذه المدينة، ويعبر عن كراهيته لهؤلاء الناس الذين ليس بوسعهم إلا أن يطأطئوا رؤوسهم أمامه، يشبعهم ركلا، ينهال عليهم بوابل الشتائم البذيئة، حين يمر يلتصقون بالجدران أو يرجعون القهقري حتى لا يلاقوه."²

من خلال الرمزية التذكيرية والشرائح الدائرية القوية للشخصية، يؤكد على موضوعات

¹ - المرجع نفسه، ص:15.

² - رشيد ميموني، النهر المحول، ص:14، 15.

³ - رشيد ميموني، طوميزا ، ص:10..

التحمل والقوة التي يتردد صداها داخل الذاكرة الجماعية للجزائر. تقدم العلاقة بين اليأس الفردي والإصابة الوطنية تجارب عميقة في الشخصية، تتشكل من خلال لقاءات الشخصية ونقاط القوة الأصيلة التي تتجاوز سيطرة المرء. يمثل هذا النشاط رحلة تقديمية للتوصل إلى حل وسط مع ماضٍ يشرع في التأثير على الحياة الجزائرية الحديثة.

تفسير الخطاب السردى : الرموز والمعاني:

تعالج روايات رشيد ميموني إشكالية الهوية والصراع بين التقليد والحداثة، وبين قيم المجتمع الأصيلة وقيم الاستعمار وما بعده، فالخطاب السردى هنا ليس مجرد حكاية، بل نسيج معقد من الرموز والحوارات الداخلية والخارجية التي تفضح التناقضات العميقة في المجتمع الجزائري في فترة ما بعد الاستقلال، وعليه يمكن تفكيك الخطاب السردى في روايات رشيد ميموني من خلال تحليل الرموز الرئيسة التي تشكل عموده الفقري:

❖ جدول تحليلي للرموز الرئيسة في رواية النهر المحول:

العنصر الرمزي	التحليل السردى في الرواية	الدلالة الرمزية
النهر المحول	تحويل مجرى النهر من قبل السلطات الاستعمارية بعيدا عن القرية.	- الهوية والجذور: يمثل النهر الأصل الثقافي والتاريخي للشعب الجزائري، تحويل مساره يشير إلى محاولة الاستعمار طمس الهوية وقطع أوصال المجتمع. - الحياة والخصوبة : النهر مصدر الحياة، وتحويلها يعني تجفيف منابع القوى الروحية والمادية للأهالي وجعلهم تحت رحمة القوى المسيطرة. - الذاكرة الجمعية: يحمل النهر في

تياراته حكايات الأجداد وأساطير الماضي، وتحويله هو محو تلك الذاكرة.		
- الجزائر التقليدية: تمثل الجزائر الأصيلة بتراتها وعاداتها وتضامنها الاجتماعي. - المجتمع المقهور: تصبح القرية نموذجا للمجتمع الذي يسلب خياراته وتفرضه عليه إرادة الغير. - ساحة الصراع: هي المكان الذي تدور فيه معركة الهوية بين قوى التغير (الاستعمار) وقوى الثبات (الأهالي).	تعاني القرية من العطش والفقر بعد تحويل النهر، وتصبح مسرحا للصراع بين التقليد والحداثة والمقاومة والاستعمار.	القرية
- صراع الأجيال: تمثل الشخصيات الصراع داخل المجتمع الجزائري بين التمسك بالمرورث والسعي نحو التحديث، وغالبا ما يكون هذا الصراع نتيجة مباشرة للاستعمار. - أزمة الهوية: تعاني الشخصيات خاصة الشباب من أزمة هوية بسبب انقطاعهم عن منابعهم الثقافية (النهر المحول). - وجه الاستعمار: ترمز الشخصيات	-الجيل القديم مثل الحاج: يتمسك بالتقاليد ويروي حكايات الماضي. -الجيل الجديد مثل محند: يعاني من التيه والبحث عن هوية بين الماضي والمستقبل. -السلطة الاستعمارية مثل الضابط والمهندس: يمثلون القوة الغاشمة والعقلانية الآلية التي لا تعترف	الشخصيات

الاستعمارية إلى الآلة البيروقراطية والعسكرية التي لا ترى في الأرض والمجتمع إلا موارد يجب استغلالها.	بالروحانيات والخصوصيات.	
- القطيعة والانفصال: رمز للفصل الاصطناعي الذي أحدثه الاستعمار بين الشعب وأرضه وتاريخه. - الوهم والتقدم الزائف: يقدم الاستعمار الجسر كعلامة على التقدم والتحضر، لكنه في الحقيقة أداة للسيطرة وإخفاء عملية النهب الأساسية (تحويل النهر). - الصلة الهشة: رغم أنه يرمز للقطيعة، إلا أن وجوده يشير إلى إمكانية العبور وإعادة الاتصال، لكن بصعوبة وبشروط غير متكافئة.	الجسر الذي بناه الاستعمار فوق المجرى الجديد للنهر.	الجسر
- مقاومة النسيان: الحكايات هي شكل من أشكال المقاومة الثقافية ضد محو الذاكرة الذي يسعى إليه المستعمر. - استمرارية التاريخ: تثبت هذه الحكايات أن تاريخ المكان والشعب	يحكي الأجداد حكايات عن عظمة النهر في الماضي وتتداخل هذه الحكايات مع	الحكايات الشعبية

تفسير الخطاب السردي في روايات رشيد ميموني: دراسة الرموز والمعاني

السرد الرئيس	أعمق وأغنى من الحقبة الاستعمارية. - القوة الرمزية: تمتلك الكلمة والحكاية قوة موازية لقوة السلاح فهي تحافظ على روح المقاومة حية .
الماء/العطش	العطش الجسدي الذي يعانيه الأهالي بعد تحويل النهر والبحث المستمر عن الماء . - الحرية والكرامة: العطش ليس فقط حاجة فيزيولوجية، بل هو عطش إلى الحرية والاستقلال والخلاص من الظلم. - المعرفة والحقيقة: الماء مصدر للحياة والعطش رمز للبحث عن الحقيقة والهوية الضائعة. - الصمود: قدرة المجتمع على تحمل العطش ترمز إلى صموده وإصراره على البقاء رغم سياسات التجويع والتجهيل .

❖ جدول تحليلي للرموز الرئيسة في رواية " شرف القبيلة":

العنصر الرمزي	التحليل السرد في الرواية	الدلالة الرمزية
قرية الزيتون	منطقة نائية تعاني من العزلة والجمود تدور	الفضاء المتخيل: تمثل قرية الزيتون التي تدور فيها أحداث الرواية فضاء رمزيا للجزائر بأكملها، تعكس واقع المجتمع

الجزائري. العزلة والانكفاء: ترمز العزلة الجغرافية للقرية إلى قوقعة المجتمع الجزائري على نفسه ورفضه للانفتاح على العالم الخارجي مما يجعله يدور في حلقات مفرغة دون تقدم. شجرة الزيتون: ترمز الشجرة التي سميت القرية باسمها إلى الجذور والأصالة، لكنها أيضا ترمز إلى الثبات والجمود الذي يعيق التطور...في الرواية يتم قطع أشجار الكالبيتوس من قبل "عمر المبروك" كرمز للقطيعة مع الماضي والتدمير المتعمد للتراث.		
السلطة الفاسدة: يمثل عمر المبروك السلطة التي تنتقم من الشعب بدلا أن تخدمه، يعود إلى قريته وهو يحمل حقدا شخصيا عليها بسبب ماضيه ، يستخدم منصبه الرسمي وسلطته لتسوية حسابات شخصية، فأسلوبه في القمع والتحكم لا	ابن قرية الزيتون المنبوذ من قبل أهلها يعود إليها رئيسا للبلدية الجديدة.	عمر المبروك

يختلف كثيرا عن أساليب الحكم الاستعماري السابق، يشير ميموني من خلال هذا إلى واحدة من أهم إشكاليات مرحلة ما بعد الاستقلال في العديد من البلدان، وهي أن الأنظمة الجديدة قد تراث وتستمر في استخدام آلة القمع نفسها التي ورثتها عن المستعمر، حتى وإن غيرت الشعارات والوجوه. الانحراف الأخلاقي: شخصيته ترمز إلى الخيانة والانحراف حيث كان يعيش حياة مليئة بالزدلفة في المدينة قبل أن يعود كسلطة قمعية.		
انتهاك الشرف: تمثل "أوريدة" شرف القبيلة الذي يتم انتهاكه على يد الضابط الفرنسي، هذه الحادثة ترمز إلى الجزائر كضحية للاستعمار.	أخت عمر المبروك	أوريدة
الاستعمار والانتهاك الخارجي للهوية. فهو يمثل النظام الاستعماري بكل ما يحمله من	ممثل السلطة الاستعمارية	الضابط الفرنسي

عنف وإذلال .		
--------------	--	--

الخاتمة:

تمثل دراسة الرموز والمعاني في رواية رشيد ميموني نظاما دلاليا معقدا يعكس رؤية نقدية عميقة للواقع الجزائري، فمن خلال الرموز المكانية والبشرية يستطيع ميموني كشف التناقضات والأمراض الاجتماعية التي تعيق تقدم المجتمع الجزائري، تظل هذه الرموز شاهدة على قدرة الأدب على تجاوز الواقع المباشر والتعبير عن أعماق التجربة الإنسانية في ظل الظروف الصعبة.

لا تزال روايات ميموني تحتفظ براهنيتها ، حيث أن العديد من الإشكاليات التي تناولها لا تزال قائمة في المجتمع الجزائري حتى اليوم، إذ تعد أعماله إرثا أدبيا يستمر في الحوار مع الأجيال المتعاقبة، مما يجعل دراسة رموزه ومعانيه مساهمة في فهم أعمق للتحديات التي تواجه المجتمع الجزائري بشكل خاص، والمجتمعات العربية بشكل عام.

المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم .

- 1- شاعر النابلسي : جماليات المكان في الرواية العربية.
- 2- جعفر يايوش، دت، الأدب الجزائري الجديد - التجربة والمآل-، دط، مركز البحث والأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية.
- 3- الحاج لونيس بلخياطي، (سبتمبر 2018)، معمارية البناء السرد في رواية النهر المحول لرشيد ميموني، مجلة المعيار - في الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية- ، إصدارات المركز الجامعي تيسمسيلت، المجلد التاسع، العدد3.
- 4- رشيد ميموني، (1990م)، شرف القبيلة، ترجمة: الحبيب السائح، منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.
- 5- رشيد ميموني، (2003م)، النهر المحول، ترجمة: عبد الحميد بورايو، دار الحكمة.
- 6- رشيد ميموني، (1989م)، طومبيزا، لافوميك، الجزائر.
- 7- السعيد بوسقطة، 2008م، الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، دط، منشورات يونه، عنابة، الجزائر.
- 8- سعيد بنكراد، 2008م، السرد الروائي وتجربة المعنى، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان.